سيِّدةٌ غزِّيَّةٌ تتحدَّى مَتَاعِبَ ذوي الإعاقة

(1)

الحكايةُ بدأتْ في قِطَاع غزَّةَ عامَ 2008 عندما حلَّ الشِّتاء ومعه حلَّت هجماتُ الطَّائرات الإسرائيليَّة مُعلنةً الحرب. كانت ريم تَقْطُنُ مع زوجها في شِقَّةٍ سكنيَّةٍ بالطَّابق الثَّاني مع ولديها عبُّود (وعمره خمسُ سنواتٍ) وعَمْرو الذي كان رضيعًا آنذاك.

وتحت القصف المتواصل الذي تسبَّبَ في تناثُر زُجاج المنزل، هرعت العائلةُ للاختباء في الطَّابق السُّفليِّ في منزل عمِّ ريم حيث اهتزازاتُ القصف أقلُّ وطأةً وقد "تَسَمَّرَ الأطفال في مكانهم من الخوف" كما قالت ريم.

وأضافتْ: "كانت الكهرباء مقطوعةً، والجميعُ يُهَروِلون فَزِعين ممَّن حولهم". ومع انتهاء الاعتداء الإسرائيليِّ الذي استمرَّ ثلاثة أسابيع، كان عبُّود قد توقَّف عن الكلام تمامًا.

(2)

استغرقتِ الأمُّ سنواتٍ في محاولةِ فَهْمِ سبب تأخُّر ابنها في النُّطق، إذْ لم يكن ينطقُ سوى بضع كلماتٍ بسيطةٍ مثل "ماما" أو "جَدَّة" إضافةً إلى فَرْطِ نشاطه الحركيِّ، فهو لم يكن يستطيع الجلوس أكثر من بضع دقائق، حتَّى إنَّ رياض الأطفال اعتذرت عن عدم قبوله لأنَّه "شقيٌّ جدًّا".

بحثت ريم في الإنترنت للاهتداء إلى تشخيص حالة ابنِها دون جدوى. لم يكن هناك سوى القليل من الدِّراسات باللُّغة العربيَّة عن تطوُّر الطفل.

تنقَّلت ريم بين الأطبَّاء لكنَّها لم تصل إلى شيء... وذات مرَّةٍ توجَّهت إلى طبيبٍ في المستشفى الحكوميِّ وما كانت تخشاه أكَّدَهُ الطَّبيب بعد تشخيصه لعبُّود بأنَّه يُعاني إعاقةً تطوُّريَّةً، ولكنَّ الصَّدمة كانت أشدَّ عندما أخبرها الطَّبيب بأنَّ طفلها الآخر يعاني الاضطراباتِ نفسَها وأنَّه في حاجةٍ إلى عنايةٍ خاصَّة.

(3)

وفي العالم العربيِّ يُعَدُّ البحث عن مَصادِرَ ومَراجِعَ عن الإعاقة مُرهقًا. بالنِّسبة إلى ريم لم يكن هناك أيُّ مختصٍّ في العلاج الوظيفيِّ في قِطَاع غزَّة، بينما رفضتِ المدارس استيعابَ ولديها. وتقول ريم: "خلال الاجتماعات العائليَّة الكبيرة، دائمًا ما يلومون أطفالي كلَّما حدث خطأٌ أو كُسِرَ شيءٌ ما، ويطلبون منهم أن يذهبوا بعيدًا... بدأتُ أشعر أنَّني في منطقة حربٍ بالفعل."

(4)

تخلَّتِ الأُسرة عن رغبتها في الاستقرار في قِطَاع غزَّة بجانب الأقارب، فحزمتْ أمتعتَها عامَ 2010 وانتقلتْ للإقامة في عمَّان من أجل الطِّفلين، وهناك لاقت ريم ترحيبًا واسعًا من مجتمع أمَّهاتِ الأطفال ذوي الإعاقة.

ألحقتْ عبُّودَ وعَمْرو بمدرسةٍ لذوي الاحتياجات الخاصَّة، وكثَّفت علاقاتها بالمختصِّين، كما انضمَّت إلى مجموعة دعمٍ لأولياء الأطفال ذوي الإعاقات. وبحسب التَّقديرات هناك مليار شخصٍ في العالم، أي ما نسبته 15%، يعانون إعاقةً ما، وتبلغ النِّسبة 3% بين سكَّان المنطقة العربيَّة البالغ عددهم 407 ملايين.

(5)

بعد أن استقرَّت ريم في بيئةٍ داعمةٍ، أرادت أن تبدأ التَّركيز على رفع مستوى الوعي، فقامت في عام 2013، بالتَّعاون مع منتجٍ سينمائيٍّ اسمه خالد أبو شريف، بإنتاج مسلسل رسومٍ متحرِّكةٍ بعنوان "كلُّنا أبطال" حول الأطفال ذوي الإعاقة، ويُعَدُّ هذا المسلسلُ الأوَّلَ من نوعه في المنطقة.

ويُتَوقَّعُ بَثُّ المسلسل على إحدى محطَّات البثِّ العربيَّة خلال الشَّهر الجاري، بعدما حصل على تمويلٍ من جهاتٍ منها منظَّمة الأمم المتَّحدة للطُّفولة (يونيسيف) ومؤسَّسة عبد الحميد شومان الاستثماريَّة الأردنيَّة.

تحكي ريم: "في الحلقة الأولى، يبدأ الأطفال بِفَهْمِ ما معنى طفلٍ ذي احتياجاتٍ خاصَّة، كيف تعمل عقول هؤلاء بشكلٍ مختلفٍ، وكيف أنَّ لديهم هواياتهم الخاصَّة وأنَّهم يتمتَّعون بمهاراتٍ خاصَّة". وتَسْتَطْرِدُ

قائلةً: "يذهب الأطفال في مغامراتٍ عديدةٍ ويلتقون أطفالًا آخرين: طفلٌ لديه متلازمةُ داون، طفلةٌ تعاني صعوباتٍ في التَّعلُّم".

وبالتَّعاون مع مختصٍّ في الإعاقة صاغت ريم السِّيناريو لتصوير أنواعٍ مختلفةٍ من الإعاقة بدقَّةٍ.

وتُوَضِّح هالة إبراهيم (المختصَّة في الإعاقات) أنَّ الأطفال ذوي الإعاقات التَّطوُّريَّة "لديهم براءةٌ في فهمهم للآخرين، وعليهِ يجب توعيتهم بأنَّ هناك أشخاصًا قد يسبِّبون لهم الأذى أو يقومون باستغلالهم".

(6)

ومع إحباطها بسبب قلَّة المصادر الإلكترونيَّة المُتاحة، أطلقت ريم بالتَّعاون مع زوجها موقعًا بالعربيَّة على الإنترنت على أمل أن يُصبح مصدرًا ومرجعًا لآباء ذوي الاحتياجات الخاصَّة.

"حاياينا" اسمُ الموقع الذي يعرض فيديوهاتٍ قصيرةً لمختصِّين يقدِّمون نصائحَ وتوجيهاتٍ للآباء، ومن المقرَّر العمل على توسيع الفكرة لتشملَ دولًا أخرى.

تقول ريم: "أسميناهُ (حاياينا) لأنَّنا نؤمن بأنَّ أطفالنا، وبغضِّ النَّظر عن قدراتهم، يبقون أحبَّاءَنا.. بعد كلِّ هذا الدَّعم الذي تلقَّيتُه، وكلِّ هذه المعرفة والمهارات الجديدة التي اكتسبتُها في كيفيَّة التَّأقلم مع أطفالي، أدركتُ حقًّا أنَّني أُحبِّهُم أكثر وأكثر من السَّابق. إنَّهم في غاية النَّقاء".

مُفرَداتٌ وعباراتٌ

- حلَّ بالمكان: وصلَ إليه ونزلَ به.
- تقطنُ: تسكنُ.
- تسمَّرَ: ثَبَتَ في مكانه كالمسمار.
- فَزِعَ: خافَ خوفًا شديدًا.

- المُرهَقُ: الشَّديدُ التَّعب.
- استيعابُ الطُّلَّاب في المدرسة: قُبولهم فيها.
- الفُضول: الرَّغبة في الاطِّلاع على الأمور.
- تأقلَمَ مع المكان أو المجتمع: تكيَّفَ معه.
- الإعاقة التَّطوُّريَّة: خللٌ في الدِّماغ يَحُولُ دون النُّموِّ الطَّبيعيِّ.
- حَزَموا أمتعتهم: أعدُّوا حقائبَهم للسَّفر.

التَّدريب الأوَّل

صنِّفوا المعلومات التَّالية كما هو مطلوبٌ في العمودين:

حالةُ أُسرة ريم في غزَّة	حالةُ أُسرة ريم في عَمَّان

- تعيش في غُربةٍ بعيدًا عن الأهل والأقارب
- عُرضَةٌ للهجوم في أيِّ وقت
- هناك مؤسَّساتٌ تعليميَّةٌ للمتأخِّرين تطوُّريًّا
- تعيش وسط الأهل والأقارب

- المدارس لا تقبل الأطفال المتأخِّرين تطوُّريًّا
- البيئة الاجتماعيَّة غير مناسبةٍ للأطفال المُعاقين
- تعيشُ في سلامٍ
- لا تجدُ علاجًا للأبناء المتأخِّرين تطوُّريًّا
- هناك مجتمعٌ للأطفال المُعاقين وذويهم
- هناك مراكز لعلاج الأطفال المتأخِّرين تطوُّريًّا

التَّدريب الثَّاني

حدِّدوا ما هو صوابٌ وما هو خطأٌ من المعلومات التَّالية وفقًا للمقال:

1. حصلَ الطِّفلان على علاجٍ مناسبٍ في غزَّة ( )
2. ربطت الأمُّ بين الهجوم الإسرائيليِّ على غزَّة وتأخُّر ابنها في النُّطق ( )
3. وجدت الأمُّ بيئةً أفضل لابنيها في الأردن ( )
4. تمَّ تشخيصُ حالةِ الطِّفلين في غزَّة ( )
5. قلَّة المصادر الإلكترونيَّة المُتاحة باللُّغة العربيَّة كمصادر لآباء ذوي الإعاقة أحبطتْ ريم فتخلَّتْ عن فكرةِ تأسيس موقعٍ على الإنترنت ( )

التَّدريب الثَّالث

اختاروا الإجابةَ الصَّحيحة:

1. فكرةُ الفقرة الثَّالثة هي:

أ. مشكلات المُعاقين في بعض البلاد العربيَّة

ب. تألُّمُ آباء المُعاقين من ردِّ فِعْلِ النَّاس نحوَ أبنائهم

ت. رَفْضُ المدارس استيعابَ الأطفال المُعاقين في صُفوفها

2. فكرةُ الفقرة الأخيرة هي:
   أ. تعريفٌ بأهداف موقع "حابينا"
   ب. تقديمُ نصائح طبِّيَّةٍ لذوي المُعاقين
   ت. شَرْحُ الأسباب العلميَّة للتَّأخُّر التَّطوُّريِّ

3. فكرةُ الفقرة الثَّانية هي:
   أ. تشخيصُ حالة الطِّفلَين
   ب. ضَعْفُ المستشفيات في غزَّة
   ت. تأخُّرُ الطِّفل عبُّود في النُّطق

التَّدريب الرَّابع

صِلوا كُلًّا من العناصر التَّالية بموقعه في المقال:

▪ مدَّة الهجوم الإسرائيليِّ على قِطَاع غزَّة سنةَ 2008	▪ الفقرة 3
▪ هناك دعمٌ دوليٌّ لمسلسل "كلُّنا أبطال"	▪ الفقرة 7
▪ دراسةُ الأمِّ عن المُعاقين جعلتْ حُبَّها لابنَيها يزداد	▪ الفقرة 6
▪ يُعاني الأطفالُ المُعاقون وذَوُوهم في العديد من البلدان العربيَّة	▪ الفقرة 5

التَّدريب الخامس

- اكتبوا موضوعًا عن "اضطراب طَيفِ التَّوحُّد عند الأطفال" متحدِّثين عن:

أسبابه – أعراضه أو كيفيَّة التَّعرُّف عليه عند الطِّفل – كيفيَّة التَّعامل مع الطِّفل المتوحِّد – العلاج

- ترجموا ما كتبتموه بالعربيَّة إلى الإيطاليَّة